سومر

الجزء الاول والثاني ـ المجلد السادس والاربعون

قوارير النفط في ضوء المصادر الاثرية

د . صلاح حسين العبيدي

كلية الآداب ـ جامعة الانبار

السلاح ضرورة من ضرورات الحياة، لان نتائج الحرب تتحدد بمقدار اداته وكثرته وتنوعه وفاعليته وقوة حامله، وهذا مادفع بالعربي الى الاعتزاز به والاهتمام بانواعه، وتطويره وتحسينه، حيث توصل العرب الى صناعة انواع متعددة من الاسلحة، التي يعتقد البعض او الكثير من الناس، بانهـا من مبتكرات العصر الحديث، مما ادهشوا في ذلك خصومهم.

والاسلحة التي استخدمها العرب في القتال، كثيرة ومتنوعة، لا يتسع المجال لذكرها، الا انني اخترت هذه المرة الكـلام عن قوارير النفط او حلل النفط، كما يسميها بعض الباحثين، لانني وجدت ان هذا السلاح مازال بحاجة الى من يبرز قيمته، لانه لم يلق من العناية، مثلما هو الحال بالنسبة الى الاسلحة الاخرى، على الرغم من ان هذا السلاح لعب دوراً هاماً في حيـاة العرب الحربية، والحروب الصليبية بشكل خاص.

لذلك كان لابد من توجيه العناية، لدراسة هذا الجانب المهم، من التاريخ العسكري العربي والاسلامي.

اما معلوماتنا عن هذا السلاح، فقد استقيناها من مصادر ثلاثة: المصدر الاول هو: ماجاء في المصادر التاريخية، والمصدر الثاني: المخطوطات المصورة ، والمصدر الثالث: نماذج من هذا السلاح المحفوظ في المتاحف العالميـة، معلـين الجانب الاثـري اهمية في هذه المصادر، لزيادة الايضاح والقاء الضوء على هذا السلاح كلما تيسر ذلك.

جاء في المخصص، القارورة واحدة القوارير من الزجاج، فلا يكون الا من الزجاج خاصة، والقوارير من الزجاج يسرع اليها الكسر، وهي ذات صمام هو غطاؤها، ويسمى صمام القارورة المفاص والصماد والبرصوم[1] ويؤكد القلقشندي على قوارير النفط، بانها «قدور ونحوها، فيها النفط، ويرمى بها على الحصون والقلاع للاحراق، على ان القوارير في اللغة: اسم للزجاج، وانما استعيرت في الات النفط مجازاً»[2]

وهناك حقيقة هامة لابد من ذكرها وهي: ان العرب قد توسعوا في استخدام الوسائل المحرقة اثناء الحروب، منذ اقدم العصور، وتشير تلك المصادر الى ان الملوك العراقيين القدماء، يشيرون دوما عند تغلبهم على بعض الدول او كسبهم لمعركة ما، وبخاصة عند حصارهم للمدن، عن تدمير تلك المدن بالنار، وتنص الكتـابات المسمـارية عـلى استخدام «نـار القصب» التي تقوض وتفتت التحصينات، اي حرق الاسـوار بالنـار وتفتيت الحجارة التي بنيت بها تلك الاسوار.[3]

وتزودنا المنحـوتات الاشـورية بمشـاهد كثـيرة، زينت بها جدران قصر سرجون[4] في مدينة دور شروكين (خرسباد)، تجسد

١ـ ابن سيدة، المخصص ١١ /٨٧

٢ـ القلقشندي
صبح الاعشى حـ٢ ص١٤٥

٣ـ
Saggs. It. W. F, The Might That was Assyria, London, 1984. P. 260.

٤ـ حكم هذا الملك الاشوري العظيم بين ٧٢١ـ ٧٠٥ ق.م وتوسعت الامبراطورية الاشورية خلال حكمـة، حتى شملت العديـد من الاقطار العربية والاجنبية، امتدت من اواسط انضوليا الى مصر، ومن البحر الاسود الى الخليج العربي والبحر المتوسط.

عظمة الجيوش العراقية، وهي تحارب القوات الاوراثية والميدية الفارسية، عند حدود العراق الشرقية والشمالية الشرقية، مستعملة اسلحة متنوعة من بينها السهام التي تحمل الرؤوس المشتعلة.[٥]

وهناك مشاهد اخرى ترينا استخدام النيران في حرق اكباش الحصار. كما استخدم العراقيون خام النفط للاغراض العسكرية.

وبناء على ماتقدم فمن المرجح ان العراقيين قد استخدموا القوارير المزججة من الداخل، لغرض ملئها بالنفط الخام، او النار لغرض القائها على القلاع والحصون لتدميرها، واحراق محتوياتها ومما يؤيد هذا الترجيح، وجود العديد من المنحوتات البارزة التي تصور النيران الملتهبة بشكل عال، وليس من المستبعد استخدام قوارير نفط تشعل وترمى من فوق الاسوار.

وتؤكد المصادر التاريخية والاثرية، ان العرب قد استخدموا القذائف في مدينة الحضر، التي اسسها العرب خلال القرون الثلاثة الاولى للميلاد. وكان الرومان قد اشاروا اليها في اخبارهم، حيث ورد بان «اهل الحضركانوا يحاربون بنوع غريب من النيران المخيفة والمرعبة»[٦] كما ذكر «ديوكاسيوس، ان الحضريين استعملوا الات لقذف الكتل المشتعلة من النفط والنار، على معدات الحصار وحطمت معظمها».[٧] ولعل المقصود بها هي هذه القذائف النارية التي يرجح اطلاقها بواسطة آلة مثل المنجنيق، ومن الجدير بالذكر، أن بعثة التنقيبات في دائرة الاثار والتراث قد عثرت في مدينة الحضر على اقدم واضخم منجنيق معروف في العالم.

ومن المحتمل ايضا ان الحضريين قد استعملوا الات ترمي النفط والنار المشتعل بواسطة رؤوس السهام النارية.

هذا ولم يصل الينا شيء عن طبيعة هذه القذائف والوسائل التي كانت تصنع فيها، والمواد التي تتكون بموجبها، لكن هناك بعض الباحثين[٨] ممن يعتقد «بانها مصنوعة من قماش مبلل بالنفط على حجر»، وهو جائز في ابسط تصور، لكن قوة هذه النار ورهبتها، تؤكد بان القذائف المذكورة، كانت تتألف من مكونات النفط الثقيل (النفط الخام)، او القير السائل التي لايمكن السيطرة عليها واطفاؤها بسهولة، ولست استبعد وقوعهم على هذا النوع من السائل، لان منابع النفط او القير قريبة منهم مثل هيت والقيارة.

والنار الحضرية كما اتصور، كانت مصنوعة من مواد قابلة للاشتعال ايضا، وبذلك تدوم الكتلة الملتهبة فترة اطول في الاشتعال، او استخدامهم القير داخل قوارير مصنوعة من الفخار، ومن الجدير بالذكر ان المنقبين قد عثروا اثناء التنقيبات التي اجريت في مدينة الحضر، على صندوق فخاري على مقربة من احد السلالم، مقسما الى قسمين بصورة افقية، ووجد في الجزء العلوي منه بقايا قار، وفي الاخر اثار حرق[٩] شديد، مما يعتقد انها استعملت لصهر القار.

ومثلما عرف العرب المقذوفات النارية قبل الاسلام، عرفوها بعد الاسلام، فقد ذكر المسعودي ان الحصين بن نمير، قد استخدم مع الاحجار النفط والنار ومشاقات الكتان، وغير ذلك من المحرقات على الكعبة فانهدمت واحترقت.

ومن الامثلة الاخرى على استخدام النيران في احراق الاهداف المحاصرة، ان قتيبة بن مسلم الباهلي، استخدم المجانيق في رمي المقذوفات النارية على قلعة القارباب، عندما حاصرها، فاحترقت فسميت بعد ذلك بالمحترقة.[١٠]

كما استخدم يزيد بن المهلب النفط والنيران عند حصاره لمدينة جرجان سنة ٩٨هـ/٧١٦م.[١١]

اما في العصر العباسي، فقد ازداد الاهتمام بهذا السلاح بعد ان لمس العباسيون فوائده وتأثيره، في المعارك حيث كان له دور كبير في حسم المعارك واقتحام الحصون والقلاع، وفي هذا العصر حصل تطور كبير على سلاح القذائف النارية من حيث تركيبها وتعدد انواعها.

ومما يدل على اهتمام العباسيين بقوارير النفط، تأسيسهم مصانع متخصصة لها، في مختلف اقاليم العالم الاسلامي، وتشير المصادر التاريخية الى ان مدينة بغداد وتكريت وسامراء، كانت في مقدمة المدن التي اختصت بانتاج هذا السلاح، فقد جاء

٥ـ المصدر السابق ص ٣٦٠

٦ـ العبيدي، صلاح، منجنيق من الحضر، مجلة سومر المجلد الثاني والثلاثون (١٩٧٦) ص١٢٧

٧ـ باتز، ديتوليف، منجنيق الحضر. تعريب الدكتور واثق الصالحي. مجلة سومر. مجلد ٣٣ (١٩٧٧م) ص١٦٨

٨ ـ الدروبي، حافظ، الطقوس الدينية في المعبد الخامس في الحضر. سومر الجزء الاول. المجلد السادس والعشرين (١٩٧٠) ص١٤٤

٩ـ الصالحي، واثق، التحصينات الدفاعية في مدينة الحضر. مجلة بين النهرين. العدد (٤٧) الموصل ١٩٨٤ ص١٢٢.

١٠ـ القارباب ـ مدينة مشهورة بخراسان قرب بلخ غربي جيجون (ياقوت. معجم البلدان ٤ / ٢٢٩.

١١ـ ابن الاثير. الكامل جـ٤ / ٥٥٣

في كتاب المنتظم، وفي حوادث سنة (٥٥٢هـ) ما نصه «وحكى زجاج الخاص انه عمل في هذه النوبة ثمانية عشر الف قارورة للنفط، سوى ماكان عندهم من بقايا نوبة تكريت»[١٢]

ومثل هذه الاعداد من قوارير النفط، تعطينا صورة لما كانت عليه جيوش العباسيين من التسلح.

وقد اكدت لنا المصادر التاريخية استخدام القذائف النارية خلال العصر المذكور، ولاسيما في معارك الحصار، ففي سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م استخدم الجيش العباسي مجانيق النفط اثناء حصاره مدينة باربد فاستعملوا فيها النيران واحرقوها[١٣] «كما استخدم هذا السلاح في تدمير واحراق مدينة عمورية، عندما حاصرها الخليفة العباسي المعتصم.»[١٤]

وكان لقوارير النفط دور مشهور اثناء الحروب الصليبية، ولدينا نص واضح من ابن الاثير، يشير الى وجود نوعين من قوارير النفط، الاول قوارير تحتوي على نفط وادوية ليس فيها نار، والنوع الثاني قوارير مملوءة وفيها نار. وفي النص تصوير لعملية استخدام هذه القوارير في الحرب المذكورة، وذلك اثناء محاصرة الصليبيين لمدينة عكا. ولا نجد ضيرا من ان نسوق النص ليلمس القارىء دقائق الصورة التي جاء بها ابن الاثير، اذ يذكر في حوادث سنة (٥٨٦هـ) «ان الفرنج قد عملوا ثلاثة ابراج من الخشب عالية جدا، طول كل برج منها خمس طبقات، كل طبقة مملوءة من المقاتلة، وان مثل هذه الابراج العظيمة لايصلح لها من الخشب الا القليل النادر، وغشوها بالجلود والخل والطين والادوية التي تمنع احراقها، واصلحوا الطرق لها، وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات، وزحفوا اليها فاشرفت على السور وقاتل من بها، فانكشفوا وشرعوا في طم خندقها، فاشرف البلد على ان يهلك عنوة، وتقدمت عساكر صلاح الدين الى الفرنج، وقاتلوهم من جميع جهاتهم قتالا عظيما، ودام القتال ثمانية ايام متتابعة. وقد ايقن المسلمون باستيلاء الفرنج على البلد، لما رأوا عجز من فيه عن دفع الابراج، فانهم لم يتركوا حيلة الا عملوها فلم يفد ذلك، ولم يغن عنهم شيئاً، وتابعوا رمي النفط الطيار عليها، فلم يؤثر فيها فايقنوا بالبوار والهلاك، فأتاهم الله بنصر من عنده واذن في احراق الابراج، وكان سبب ذلك ان انسانا من اهل دمشق وهو ابن عريف النحاسين كان مولعا بجمع الات النفاطين، وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار، فلما رأى الابراج قد نصبت على عكا، شرع في عمل مايعرفه من الادوية المقوية للنار، بحيث لايخفيها شيء من الطين والخل وغيرهما، فلما فرغ امر المنجنيقي ان يرمي في المنجنيق المحاذي لبرج من هذه الابراج حتى احرقه، فرمى عدة قدور نفط وادوية، ليس فيها نار فكان الفرنج اذا راؤا القدر لايحرق شيئاً، يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج حتى علم ان الذي القاه قد تمكن من البرج القى قدراً مملوءة، وجعل فيها النار، فاشتعل البرج والقى قدراً ثانية وثالثة فاضطرمت النار في ضواحي البرج فاحترق هو ومن فيه، وكان فيه من الزرديات والسلاح شيء كثير، وكان طمع الفرنج بما راؤا ان القدور الاولى لاتعمل يحملهم على الطمأنينة وترك السعي في الخلاص، فلما احترق البرج الاول انتقل الى البرج الثاني، وقد هرب من فيه لخوفهم فاحرقه، وكذلك الثالث وكان يوما مشهودا لم ير الناس مثله، والمسلمون ينظرون ويفرحون.»[١٥]

والنص المتقدم يبين لنا المستوى الذي وصلت اليه الجيوش العربية من حسن استخدام السلاح، وهو ما يعبر عنه اليوم بالتكتيك، وهو استخدام الاسلحة في المعركة والوصول الى المردود الاقصى.

كما يظهر ايضا استخدام العرب عنصر عسكري مهم، وهو عنصر المفاجأة في الحرب، وتحرص الدول في عصرنا على الاخذ بهذا المبدأ الحربي.

ويبدو ان العرب قد توسعوا في استخدام هذا الاسلوب في حروبهم وتفننوا فيه، فقد اشارت المصادر التاريخية الى اتخاذ قوارير من الزجاج، تملأ من دهن يتركب من النفط الابيض وكبريت سندورس ثم ترمى هذه القوارير بالمنجنيق، فتلطخ المكان الذي تقع فيه، ويؤتي بعد ذلك بحجر عليه مشاقة مرواة من النفط المطبوخ تشعل فيه النار ويرمى حيث وقعت القوارير، فيلتهب المكان لا ينطفىء.[١٦]

ويعد العراق مركز الامدادات للنار والنفط، اثناء الحروب الصليبية فقد ذكر ابن واصل، ان الخليفة الناصر لدين الله قد ارسل الى صلاح الدين الايوبي، رسولا وهو الشريف فخر الدين نقيب مشهد التبني ببغداد، ومعه حملان من النفط، وخمسة من

١٢ـ ابن الجوزي، المنتظم ١٠/١٧١

١٣ـ الطبري، تاريخ ٨/١٢٨

١٤ـ الطبري، تاريخ ٩/٥٧

١٥ـ ابن الاثير، الكامل جـ٩ ص٢٠٥ـ٢٠٦

١٦ـ ثابت، نعمان، الجندية في الدولة العباسية. مطبعة بغداد ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م ص١٤٩.

الزرافين المتقنين لصناعة الاحراق بالنار»[١٧]

«وعندما حاصر صلاح الدين مدينة القدس ليحررها من الصليبيين، واحتاج الى النفط استنجد بعز الدين مسعود الاتابكي صاحب الموصل، فارسل اليه فصائل من رماة النفط، ومعهم احمال من النفط الابيض، فكانوا من المساعدين له على هدم سور المدينة وفتحها».[١٨]

ومادمنا بصدد سلاح قوارير النفط، فلابد من الاشارة الى الالات التي استعملت في قذف هذه القوارير وهي:

١ ـ مجانيق قذف اوعية النفط والمواد الحارقة، وتشبه مجانيق قذف الحجارة، من حيث بدء العمل، غير ان قذائفها على شكل قدور او قوارير او براميل تملأ بالنفط والمواد الاخرى.

٢ ـ قوس قاذفة النفط ـ وهذه القوس شبيهة بقوس الرجل، ولها مجراة مكملة بقفلها وجوزتها، وتركب عليه كفة من خشب الصنوبر على شكل نصف جوزة هندية، وتجوف تجويفا يسع القارورة التي يوضع فيها النفط، فاذا اراد الرامي رمي القارورة وضعها في ذلك التجويف، وذلك بعد ان يجذب وتر القوس بخطاطيفه، ويجعله في الجوزة (القفل) ثم يفلته، فان القارورة تخرج كالسهم عند قذفه، فتتكسر عند اصطدامها بالهدف وتشتعل محتوياتها لتحرق المكان.

والى جانب المنجنيق والقوس فقد وجد نوع من قوارير النفط استخدمت الايدي في رميها.

اما بصدد المواد التي تدخل في تركيب قوارير النفط، ففي مخطوط تبصره ارباب الالباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء. ونشر الاعلام في العدو والالات المعينة على لقاء الاعداء تأليف مرضي الطرسوسي مستشار السلطان صلاح الدين الايوبي، العسكري جاءت تفصيلات وافية عن المقذوفات النارية، ومكوناتها والات قذفها، فيقول عن المقذوفات التي ترمى بالنشاب «كبريت جزء راينتج جزء قلقونيا، جزء نوره جزء ساس كتان او دقيق التبن مخلوط بنخالة الحنطة، جزء تسحق ما يجب سحقه، وتخلط الجميع وتؤخذ من شحم الكلي فتحرق وتؤخذ منه جزء وتخلط معه، وتلف تلك العقاقير في مشاقة رقيقة وتلف عليه قشرات التوت، وتحشى به قلب النص، وتلف عليه وترمى في جمرة لطيفة، او تحرق طرفه وترمى فاذا خالطه الهواء اشتعل نارا عظيمة فتحرق اي شيء اصابه».[٢٠]

ثم يتكلم عن المقذوفات التي تقذف بها المجانيق فيقول: (قطران عشرة ارطال راتينج ثلثه ارطال سندروس من كل واحد، رطل ونصف كبريت نقي طيب سالم من الترابية، ثلثه ارطال شحم دلفين مسلى مذوب خمسة ارطال شحم كلا الماعز محلول مروق مثله تحل القطران، وتلقى عليه تلك الشحوم. وتطرح عليه الراتينج بعد ان تحله على حدته، ويدور على المطبوخ وتقد عليه ويطبخ الى ان يصير الجميع واحدا، فاذا اردت العمل به وفي وقت الحرب فتأخذ منه جزءاً وتضيف اليه عشرة من الكبريت المعدني الذي يسمى النفط، ماكان منه يميّل الى الخضرة تشبه الزيت القديم، ويجعل الجميع في طنجير الى ان يكاد ويقد فتغط الاناء بلبد، وليكن فخاراً وترمى به عن المنجنيق على الشيء الذي تريد حرقه فانه لايطفأ أبدا.[٢١]

اما اصاحب كتاب الانيق في المنجنيق،[٢٢] فقد ذكر لنا طريقة صنع القذائف النارية وتركيبها، التي ترمى عن المنجنيق بشكل اخر، حيث قال: «قدر عراقي يأخذ اربعين قنا واربعين وشقا واربعين صندورس، ينخل الزامات كلهم، بقليل من النفط الخوزى يطعم العشاء بدهن الرخامة بالنفط، وينزل الجميع الى الرخامة، ويخدمه عليها ويأخذ صندروس مخرمش ويعلقه، ويأخذ قدره المدورة من الفخار، ويفتح لها ثلث سبابيق [illegible] منافس وبيضها (اي يسودها) بالزفت، ويضرب الزامات في القدرة، ويأخذ ثلث غزاور مطاولات يملاهم نفط، ويحمل على رأس كل عزوز وردة من اللباد، ولا يسد فم الغزور ويغرز الغراوز في الزامات، ويطالع الوردات من الشواريق، ويطالع من كل شارق اكريبج عراقي مقلي بكبريت، ويضرب عليها شبك من الشريط قدر عراقي.[٢٣] (شكل ١)

ثم يتكلم عن النشاب الذي يرمي بالمنجنيق فيقول: «واذا اردت ان ترمي نشاباً في المنجنيق، فتارة يكون مرسما بالنار

١٧ـ ابن زامل، مفرج الكروب ٢/٣١٤

١٨ـ الديومجي، سعيد، تاريخ الموصل. مطابع دار الكتب بجامعة الموصل (١٩٨٢) جـ١ ص٤٣٥

١٩ـ الطرسوسي، مرضي بن علي بن مرضي تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء ونشر الاعلام في العدد والالات المعينة على لقاء الاعداء ص٩

٢٠ـ المصدر السابق ص٢١

٢١ـ المصدر السابق ص٢١

٢٢ـ ارتبنا الزردكاش. الانيق في المجانيق. مخطوطة مصورة بالجامعة العربية تحت رقم ٩٧٠. (ورقة رقم ١٦)

٢٣ـ المصدر السابق (انظر ورقة رقم ١٤)

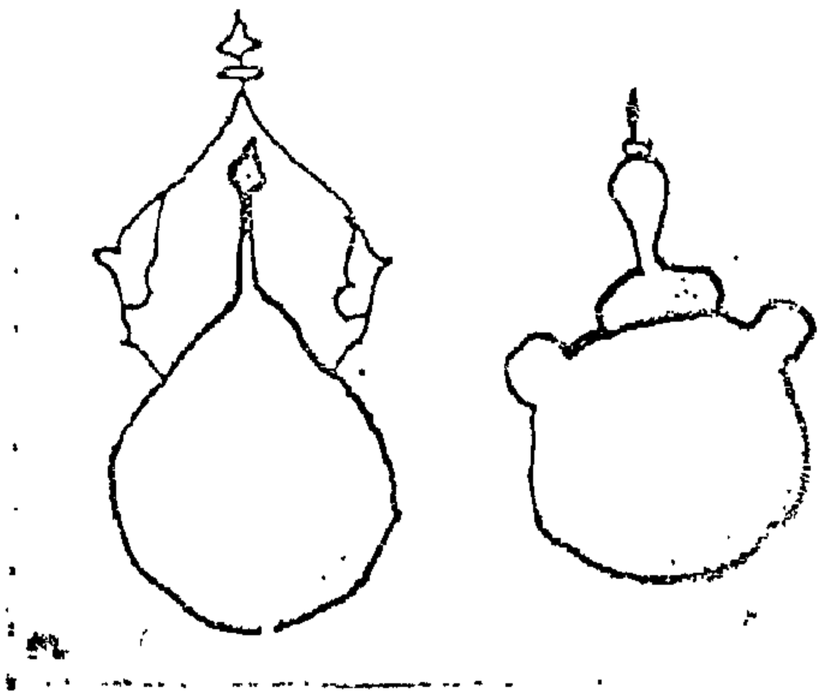

شكل (١)
قدر في مخطوط الانيق في المنجنيق

واللزقات، وتارة يكون بلا رسم، فاذا اردت ذلك، فانك تضع في عدل النشاب كلابا. ويكون ذلك الكلاب من حديد، ويكون الكلاب يحمل السهم ويحمل القرب، ويكون وجه الكلاب مقابلة تصل النشاب، وظهره الى ريش السهم، ثم بعد ذلك تقلع كفة المنجنيق، وتقلع ساعده الاول ثم تضع الكلاب في الساعد الثاني، ثم ترمى به فانه يصيب من تريد ان شاء الله تعالى.. الذي ذكرناه تمام العمل بالمنجنيق الذي يسمى قرابغرا»[٢٣] (شكل ٢).

ثم يوضح كيفية وضع المنجنيق والاخشاب اللازمة لذلك فيقول: «كيفية وضعه حتى يصير الرامي به مستأنساً، فنذكر ما يحتاج اليه من الاخشاب، وهي ثمان وعشرون قطعة من الخشب، وفيها مايزيد وما ينقص، فاذا اردت وضعه فتنظر الى ما قد وضعته من الاخشاب في هذا الكتاب، فتعمل امثالها واعدادها، والصندوق المرسوم فيه، فلا تخرج من عمله، انظر ايضا الى طول النشاب وما هو عليه، فاعمل هيئته ومسفله واعلاه، وبخوش الخزيرات وغير ذلك من الاعمال، ثم جميع المنجنيق وما يحتاج اليه.[٢٤]

وهكذا يسير على هذا المنوال، من الشرح والتفصيل الدقيق في بيان انواع المقذوفات المختلفة، مثل قدر مخاسفة مضربين، قدر منتن المخاسفة قدر الجير، قدرة المحزم، قدرة الصنوبر، قدر مخفي[٢٥] (شكل ٣) كذلك فصل المقذوفات التي تستعمل لقذف المراكب فيقول «قدر سقوط تأخذ قدرة مدورة فخار، وتملأها حب القطن محمص باللزاق وتملأ به القدرة، ويظخره بظخيرة موقتة

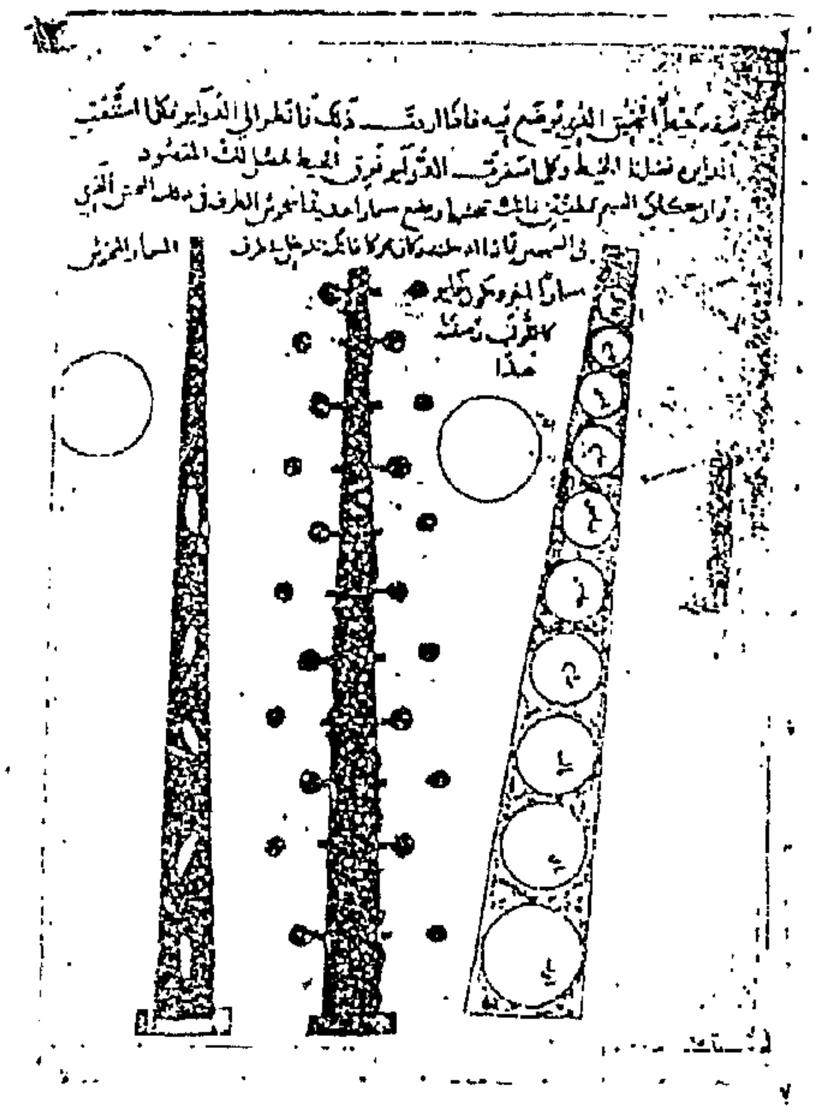

(شكل ٢)
النشاب الذي يرمي بالمنجنيق عن مخطوط الانيق

مقلبة في الكبريت، ويعطيه النار من الطنجيرة قدر سقوط المراكب، تاخذ القدر الفخار اكبر مايكون، وتحط فيها حبات عتيق واصمماس ونواشيد وتختم رأسها، وتسقطها في الثقوب في المراكب، فاي من لسعته قتلته والله اعلمْ صفة المركب.» ويذكر نوعا اخر من انواع القدور، التي تقذف على المراكب، فيقول «القدرة الجيرية للمخاسفة والمركب تأخذ قدرة فخار، وتملأها دواحد وتغطيه وتختم رأس القدرة ختم جيد، وتقول بعزيمة، خذ هذه القدرة واشعله ثم تأخذ الخصم وما يعرف من اين تشعله، فعندما تريد تشعل القدرة خذ العشار بله بالنفط، والزقة على القدرة فلبس كفك واشعل القدرة وهو به حتى تقوى ناره واكثره قدام خصمك فيطلع الدواكد الى الخصم حتى يحرقه ويقشر جلده عن لحمه.[٢٦]

وفي الوقت الذي كان العرب يستخدمون هذا السلاح في حروبهم، كانت اوربا تجهله جهلا تاما، وليس ادل على ذلك ماكتبه الغربيون عنها، فقد وصفت الاميرة «اناكومينا» ابنة «اليكسواس كومينوسي» الذي شهد عصر الحروب الصليبية الاولى النار العربية في كتابها عن سيرة ابيها، فصورت مقدار

٢٤ـ المصدر السابق (انظر ورقة رقم ١٥)
٢٥ـ المصدر السابق (انظر ورقة رقم ١٧)
٢٦ـ ماهر، سعاد، البحرية في مصر الاسلامية واثارها الباقية. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ص٢٢٩

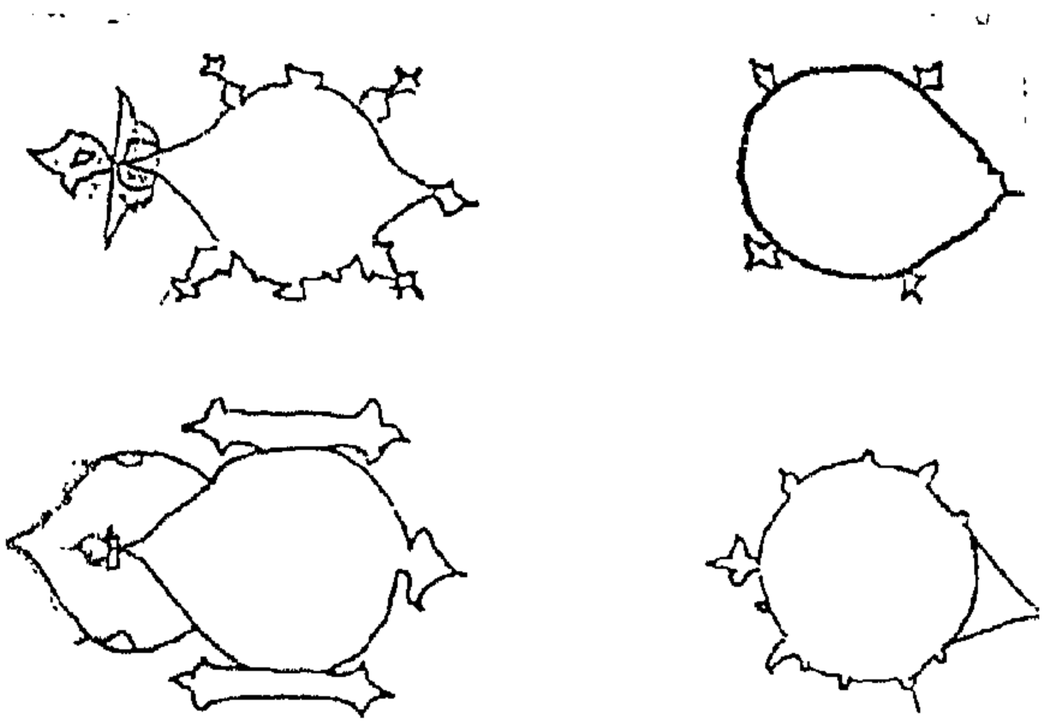

(شكل ٣)
قدر في مخطوط الانيق في المنجنيق

روعها حين تعلو النار في الجو، عندما تشتعل ثم حين تنقض كقطعة من الجحيم فتشوى الناس وتتركهم رمادا تذروه [٢٨] الرياح وقد اشارت الاميرة انا الى بعض عناصر هذه النار، وصفت طريقة استعمالها فقالت «انها مزيج من النفط والزيت والكبريت المجمد بنوع من الصمغ القابل للاشتعال، وكان هذا المزيج الناري يعبأ في انابيب من النحاس لها فوهة توقد منها وفي مؤخرتها قوس تنطلق فتدفعها الى الامام.

وكانت تلك الانابيب توضع بكميات كبيرة في اسطوانة مستديرة في مدافع المنجنيق ثم تقذف على العدو فتصليه ناراً حامية، اذ تنفجر بقوة الاصطدام فيندلع لهيب لايمكن لانسان ان يخمده، وينتشر شررها في كل جانب فيجعل ماحولها جهنم وبئس المصير.

وقد استمر جهل الصليبيين بالنار العربية حتى الحملة الصليبية السابعة، التي قادها ملك فرنسا «لويس التاسع» وكان هدفها مصر فقد جاء في المذكرات اليومية للفارس «دي جوانفيل» التي جمعها في كتابه «ذكريات عن الحروب الصليبية» ليومي ٦، ٧ شباط سنة ١٢٥٠م ما ياتي «في غسق الليل جاء المسلمون بآلة عجيبة، ووضعوها تحت الابراج التي كنا ساهرين على حراستها انا والسير والتركوريل» ثم قذفونا منها بشيء ملأ قلوبنا بالدهشة والرعب، نار كانما هي الادنان المشتعلة، وذيولها من خلفها مثل الحراب الطويلة، ودويها يشبه الرعد كانها جارح يشق الهواء، ولها نور ساطع جدا من جراء عظيم انتشار اللهب، الذي يحدث الضوء حتى انك ترى كل ما في المعسكر، كما لوكان في وضح النهار، وقد رمى المسلمون علينا هذه النار في تلك الليلة ثلاث مرات من الالات الكبيرة، واربع مرات من القسى العريضة.[٢٩]

هذا عن الجانب التاريخي لقوارير النفط، اما عن الجانب الاثري، فقد امدتنا الحفائر الاثرية التي اجريت في اقاليم مختلفة من الوطن العربي والعالم الاسلامي مثل سامراء والفسطاط بمجموعة من قوارير النفط المصنوعة من الفخار، لها اهميتها في هذه الدراسة.

ومن المرجح ان تكون صناعة القوارير الفخارية قد نشأت في سامراء، ومنها انتقلت الى مصر على عهد الدولة الطولونية[٢٧]، التي اسسها احمد بن طولون فان هذه الدولة، قد تأثرت بسامراء في مجال الصناعات الفخارية الخزفية التي كان لها دور متميز في هذا الميدان.

والقوارير الفخارية الاسلامية التي وصلت الينا، كثيرة ومتنوعة ليس من اليسير تحديدها تحديدا جامعا مانعا، فهي مختلفة الاشكال والاحجام والانواع، كما انها تختلف في الزخرفة والاغراض التي استعملت من اجلها، الا اننا سنكتفي بالاشارة الى نماذج من تلك القطع، ليطلع القارىء على الصورة التي كانت عليها تلك القوارير.

ومن الملاحظ ان القوارير الفخارية التي وصلت الينا تختلف من حيث الشكل والنوع والزخرفة، تبعا للاغراض التي استعملت من اجلها، والوسائل التي استخدمت في قذفها، فهناك قوارير كروية رمانية الشكل مثال ذلك قارورة من الفخار يحتفظ بها متحف الفن الاسلامي بالقاهرة، وتتميز هذه القارورة بان جسمها كروي رماني الشكل لها رقبة قصيرة اوان يكون[٣٠] جزؤها الاسفل كروي الشكل وجزؤها العلوي به استطالة، ويضيق الى اعلى لينتهي بفوهة تقوم على رقبة قصيرة[٣١] (شكل ٤)

٢٧ـ علي يوسف، عبد الرؤوف، دراسة في الفخار المصري قوارير النفط دراسات اثارية اسلامية. المجلد الاول (١٩٧٨) القاهرة الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية (١٩٨٢) ص١٥

٢٨ـ ماهر، سعاد، المصدر السابق ص٢٣٤

٢٩ـ ماهر، سعاد، المصدر السابق ص٢٣٤

٣٠ـ علي يوسف، عبد الرؤوف، المصدر السابق ص٢

٣١ـ المصدر السابق ص٢

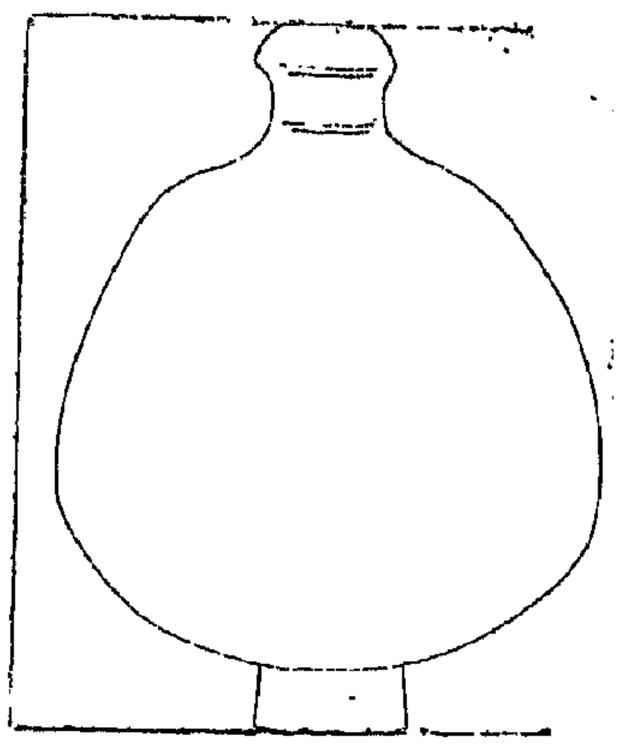

(شكل ٤)

قارورة جزؤها الاسفل كروي الشكل جزؤها العلوي به استطالة ويضيق الى اعلاه لينتهي بفوهة تقوم على رقبة قصيرة خالية من الزخارف عن علي يوسف عبد الرؤوف

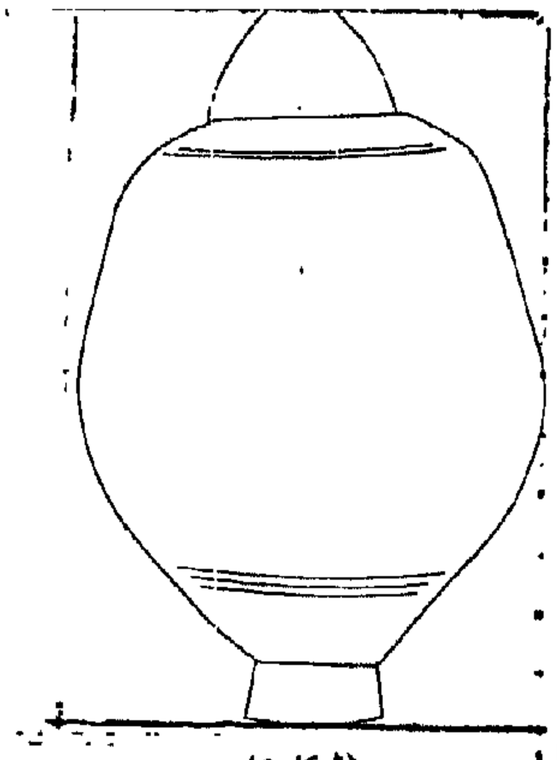

(شكل ٥)

قارورة بدنها فيه استطالة ثم يضيق الى اسفل خالية من الزخارف عن علي يوسف عبد الرؤوف

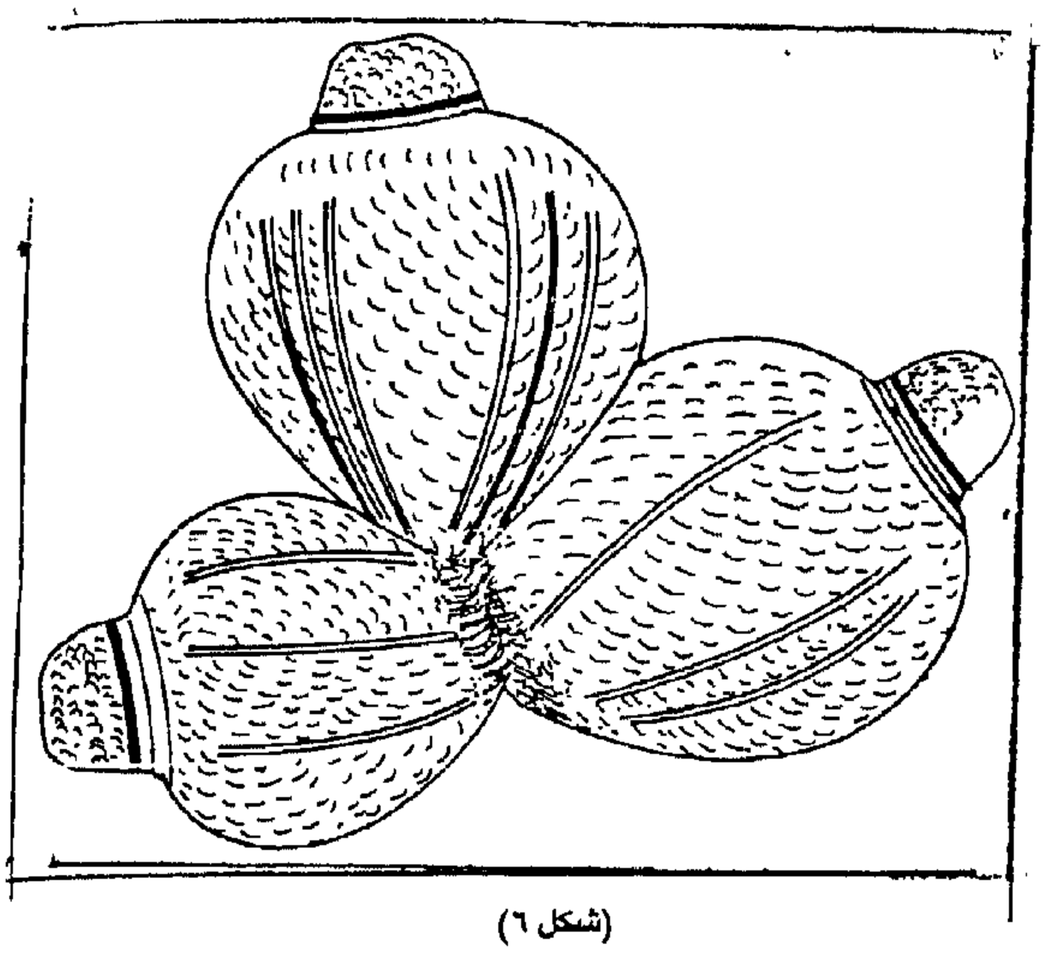

(شكل ٦)

قارورة شكلها مخروطي ويكون جزؤها العريض الى اعلى وطرفها المسلوب الى ا تزينها زخرفة مضغوطة سطحها الخارجي على شكل مثلثات طولية تمتد راسيا ب البدن. والتصميم على شكل قشر السمك عن علي يوسف عبد الرؤوف

وهنـاك نوع اخـر من القواريـر يكون بـدن القارورة فيـه استطالة، ويبلغ اقصى عرضه عند الوسط تقريبا ثم يضيق الى اسفل[٣٢] (شكل ٥ .

ان الاشكال المشار اليها من هذه القوارير تذكرنا بنوع من القنابل او الرمانات اليدوية التي تستخدمها الجيوش في الوقت الحاضر، وهو النوع الذي يعرف الرمانة التعريضية، وهي رمانة مهداد يدوية مصممة للاستعمال من قبل القطعات المتقدمة في العراء.[٣٣]

الا ان اكثر الانواع شيوعا هـو الشكل المخـروطي، ويكون جزؤه العريض الى اعلى، وطرفه المسلوب الى اسفل، مثل ذلـك قارورة من مقتنيات متحف الفن الاسلامي بالقاهرة[٣٤] (شكل ٦ .

وهذا النوع من القوارير يشبه في شكله الرمانة الدفـاعية، التي تستخدم في الحروب الحديثة وهي رمانة مهـداد يدويـة تستخدم للستر الحمايوي وتؤثر على الاشخـاص بسبب ق الشظايا بسرعة عالية من بدنها المعدني السميك نسبيا، وتس برمانة نشطية.[٣٥]

وبالاضافة الى ماتقدم، فقد وصل الينا نوع من قوارير الن تتميز ابدانها بهيئة قرص مستدير اكثر سمكاً في الوسط، وين من اسفله بنقطة ارتكاز تقابلها من اعلى رقبة قصيرة، وتك حافة القـرص احيانـاً مسننة (شكـل ٧ [٣٦] وهذا النـوع القوارير، مصمم على مايبدو ضد الاشخاص. او تكون الزخ في بعض القلل عبارة عن اشكال معنيات تشبه شبكة (شكل واذا اردنا ان نقارن هذا النوع من القوارير، بمـا تستخد الجيوش الحديثة من الاسلحة فيمكن القول بانها تشبه اللغم والشكل الذي نحن بصدد دراسته يشبه اللغم المصمم د الاشخاص.

وابرز مانشاهده من العنـاصر الزخـرفية في قـوارير ال

٣٢ـ المصدر السابق ص٢

٣٣ـ امـين، محمد فتحي، قـاموس المصطلحـات العسكريـة مطبعة التوجيه السياسي بغداد ١٩٧٦ ص١٤١. والـرمانـة هي قنبلة مهداد او كيمياوية صغيرة تلقى باليد او ترمى من بندقية او قاذفة رمانة خاصة. المصدر السابق ص١٤١

٣٤ـ علي يوسف، عبد الرؤوف، المصدر السابق ص٢

٣٥ـ امين، محمد فتحي، المصدر السابق ١٤١.

٣٦ـ علي يوسف، عبد الرؤوف، المصدر السابق ص٢

٣٧ـ اللغم مادة متفجرة او اية مادة اخرى مغلفة عادة، مصممة لتدمير او تخريب العجلات او القوارب او الطائرات او مصممة لجرح وقتل الاشخاص يمكن تفجيره من قبل ضحيته، او بعد مرور وقت او بوسائل مسيطرة (انظر، امين، محمد فتحي المصدر السابق ص٢٤٠)

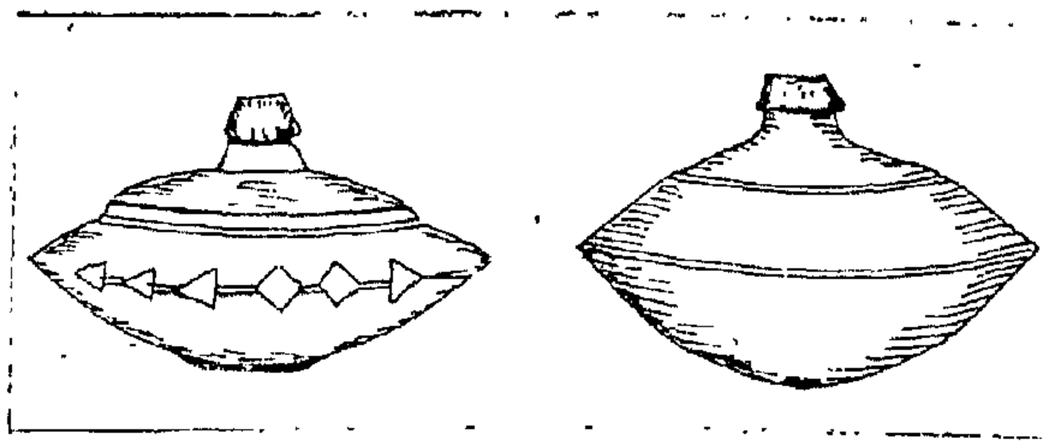

(شكل ٧)

قارورة ذات بدن بهيئة قرص مستدير اكثر سمكا في الوسط وينتهي من اسفله بنقطة ارتكاز تقابلها من اعلى رقبة قصيرة ويساعد هذا الشكل على قذف القارورة باليد الى مسافة بعيدة/عن علي يوسف عبد الرؤوف

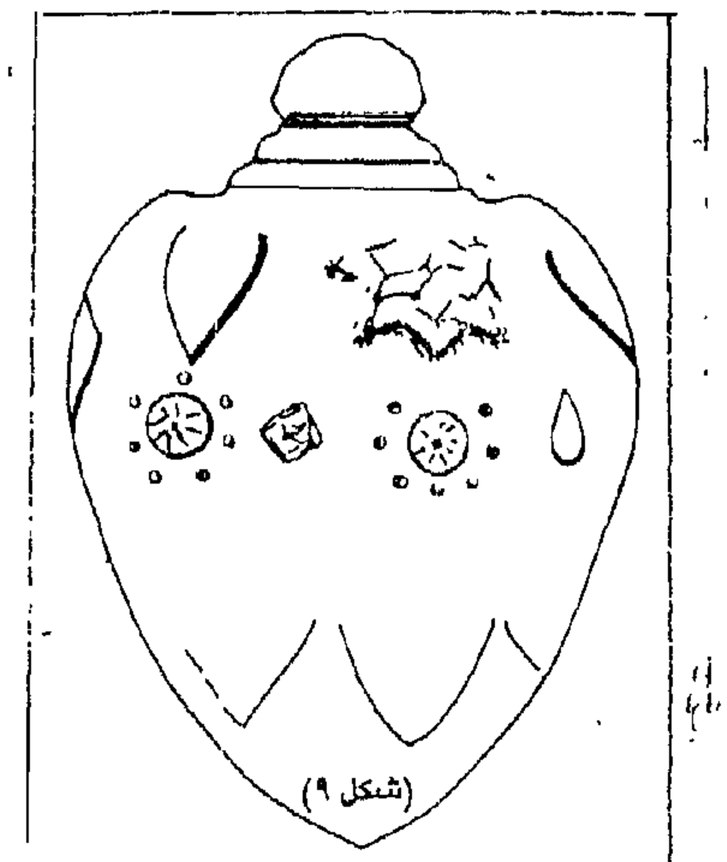

(شكل ٩)

رة محفوظة في متحف الفنون بمدينة فيلادلفيا ويزخرف اعلى بدنها نتوءات ة لوزية الشكل تحصر بينها شكل نجمات سداسية كبيرة تعلوها خطوط متوازية متقاطعة وكانما تحول بدني الحيتين الى نجمة عن علي يوسف عبد الرؤوف

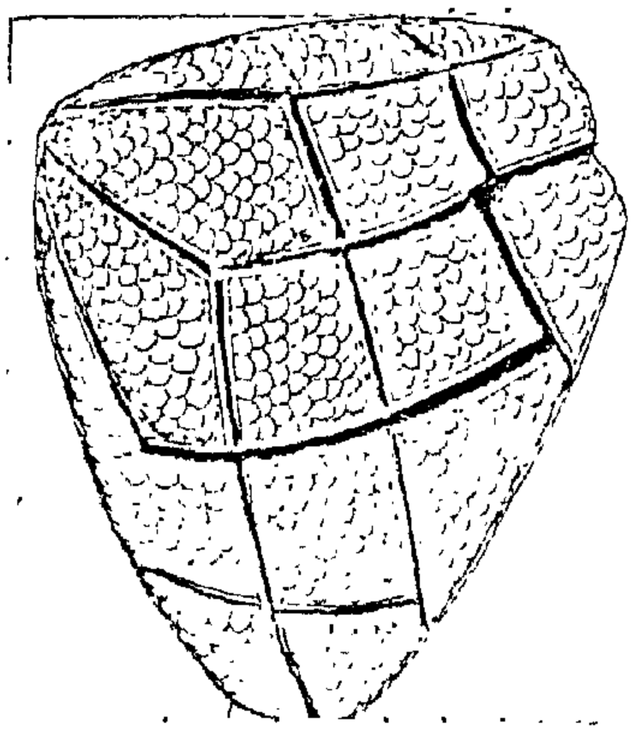

(شكل ٨)

قارور تزينها زخرفة قوامها اشكال معينات تشبه شكل شبكة

بهيئة عقدة.

اما متحف الفنون بمدينة فيلادلفيا فان من بين مقتنياته، قارورة مصنوعة من الفخار سطحها الخارجي يتألف من زخرفة قوامها نتوءات كبيرة لوزية الشكل، تحصر بينها شكل نجمات كبيرة تملؤها خطوط متوازية ومتقاطعة، باسلوب مجدول وكانما تحول بدن الحيتين الى نجمة[٤٠] (شكل ٩) وتزودنا الاثار العربية الاسلامية بنماذج يتمثل فيها اسلوب اخر من اساليب التهديد والوعيد للعدو، نذكر منها القارورة المحفوظة في متحف دمشق، حيث يزين سطحها اشخاص موثقين كانها ترمز الى تهديد العدو.[٤١]

ويبدو ان زخرفة هذه القوارير برسوم الحيات او ماشابه ذلك غرضه تحقيق فاعلية القوة المعنوية، والتأثير النفسي على الاعداء.

وقد كان العرب المسلمون يحرصون على تطبيقها في حروبهم، وذلك باستخدام فنون مختلفة من الدعاية ووسائل الحرب للتأثير على نفسيات العدو، وكان احد هذه الفنون زخرفة قوارير النفط هذه برسوم الحيات، لغرض ادخال الرعب والخوف والفزع في قلوب الاعداء، عندما ترمى عليهم مثل هذه القوارير، اضافة الى تأثيرها المدمر عندما تنكسر.ويشتعل المكان الذي تلقى عليه

رية، هوتزيينه برسوم الحيات، ففي متحف الفن الاسلامي ـاهرة قارورة يزين سطحها الخارجي شكل حيتين بدنهما دولان وراساهما متواجهان مكررا ثلاث مرات.[٣٨]

كذلك يضم المتحف الاثري ببيت المقدس، قارورة اخرى ها، اشكال ازواج من حيات ابدانها مضفورة بشكل عقدة[٣٩]

وهناك قارورة اخرى تزين سطحها البارز اشكال ازواج حيات رأساهما متواجهان، وبدناهما ملتفتان بشكل مجدول

٣٨ـ علي يوسف، عبد الرؤوف، المصدر السابق ص١٠

٣٩ـ المصدر السابق ص١٠

٤٠ـ المصدر السابق ص١٠

٤١ـ المتحف الوطني بدمشق، دليل مختصر الطبعة الاولى ١٩٦٩ ص٢٧٤

قوارير النفط والنار.

واخيراً · اننا بما قدمناه نرجو ان نكون قد نجحنا في القاء الاضواء على بعض جوانب من التراث العسكري، لامتنا العربية المجيدة الذي نعتز ونفتخر به . .